

وماسواها (215)



sadiqalsamarrai@gmail.com

د. صادق السامرائي - الطب النفسي، العراق / أمريكا

إنزلاق وإنسحاق!!*

الواقع العربي يتسم بتواصل الإنزلاقات الخطيرة في تداعيات كبيرة ذات نتائج عسيرة على الفهم والتناصح والتصالح ، وإنما هي مزلق متوالدة ذات قدرات على تأجيج العواطف والإنفعالات وتأكيد التخاطب بالدم وترسيخ مفردات الوجيع والألم.

أولاً: المزلقة!!

ذات يوم وفي عزّ التوترات وحالات التوجس والخوف من الآتيات ، كنت أجلس مع استاذي ، وقد تحاورنا حول ما يدور في واقعنا المتأزم المحفوف بالوجوم ، ونحن نقيم مصير دراستنا وهل ستسمح لنا الظروف بالحصول على الإختصاص.

وأنا في حيرتي وإذا بإستاذي يقول بأسلوبه البغدادي المتميز : " خلوه بالحمام أو صوبنولة الكاعية وإنطو دفعة ، وكالوله الله وياك!!"

(وضعه في الحمام ودهنوا أرضيته بالصابون ودفعوه وقالوا له الله معاك)

وأضاف : "شلون راح تنحل!!؟"

(كيف سيكون الحل)

ومعنى ما قاله أن ساستنا تحكمهم المزلقة ، أي أن الآخرين يرتبون لهم سبلا زلقة ويرغبونهم أو يخذعونهم لوضع أقدامهم عليها ، وحالما تمس أقدامهم المكان الزلق تُعطى لهم دفعة من الخلف فينحدرون إلى المهوي ولا يمكنهم الخروج منها بسبب هيمنة القوة الزلقة.

ويبدو أنها قاعدة عامة تتطبق على جميع أو معظم التطورات الحاصلة في المنطقة العربية خصوصا ، فكل يوم ونحن في مزلقة.

ولا يُعرف إذا كانت فينا رغبة كامنة للترلق أو الإنزلاق ، إذ تجدنا من أسهل المجتمعات التي تنحدر في المنزلاقات وتتمحن في التداعيات ، وتفقد قدرات الخلاص من وحل ويلاتنا وتراكمات مشاكلها.

فلو تأملنا الكثير من بلداننا ، لظهر لنا بوضوح سلوك المزلقة ، وكيف أنزلت في تفاعلات

الواقع العربي يتسم بتواصل الإنزلاقات الخطيرة في تداعيات كبيرة ذات نتائج عسيرة على الفهم والتناصح والتصالح

لا يُعرفه إذا كانت فينا رغبة كامنة للترلق أو الإنزلاق ، إذ تجدنا من أسهل المجتمعات التي تنحدر في المنزلاقات وتتمحن في التداعيات

هذا المنحى الإنزلاقي قد تسببه في إخلاق الدروب وتعويق المسارات ، ودفع الطاقات الشبابية إلى التصدق في مكانها والتعثر بزمانها

عندما تجد المجتمعات نفسها في مزلقة ، فإنها تنقلب ضد بعضها متوهمة بأنها ستخرج من حال المزلقة ، وتتجاهل بأنها تزيد من أليائت الإنزلاق والتهاوي في حفر الإنتهاء

إتلافية منافية لبيدهيات الحياة والسعي للقوة والرفاء , فإرادة التخريب والتدمير هي السائدة والمميزة والتي تسمى نصرا وفخرا.

هذا المنحى الإنزلاقي قد تسبب في إغلاق الدروب وتعويق المسارات , ودفع الطاقات الشبابية إلى التصندق في مكانها والتعثر بزمانها , والتورط بأعمال وتفاعلات تحسبها ذات قدرة على إخراجها من تقيدها في منزلقات الولايات ومستنقعات التدايعيات , التي صار الخروج من قبضتها إنتحارا وقضاء أكيدا على الحياة , حتى إنتفتت الفروقات ما بين الحياة والموت.

وعندما تجد المجتمعات نفسها في مزلقة , فأنها تتقلب ضد بعضها متوهمة بأنها ستخرج من حال المزلقة , وتتجاهل بأنها تزيد من آليات الإنزلاق والتهاوي في حفر الإنتهاء.

ثانيا: الإنزلاقات العربية على سطوح مدهونة بالنفط!!

الواقع العربي , ومنذ إكتشاف النفط في أرضه , يتميز بإنزلاقات متلاحقة ومتراكمة على سطوح مصقولة ومطلية بالنفط , وما نجت دولة عربية واحدة من مصير الإنزلاق.

وكان العراق أول الدول المنزلة , الذي تورط في مزلقة ما بعدها من مزلقة , ولا يزال متوحلا فيها , وكانت أعظم الإنزلاقات التي حصلت هي المزلقة العراقية - الإيرانية التي مضت عليها الدولتان حتى اليوم , بعد أن تم الإستثمار المربح فيها وتطويرها وتوليدها منزلقات لاتنتهي.

وما الإنقلابات والحروب والصراعات والأحزاب إلا مطبات إنزلاقية تهاوت فيها الدول العربية بمجتمعاتها كافة , وهذا بفسر عدم نجاحها في إقامة أنظمة سياسية دستورية معاصرة ذات قيمة حضارية , وإنما عبّرت عن إرادة ورؤية المنزلات التي وقعت فيها , وما خرجت منها.

فأحزاب العرب وخصوصا الدينية منزلقات دامية وجحيمات حامية.

وأشع وأشرس المنزلات هما الطائفية والفئوية التي سقط فيهما العرب , وصاروا قوة سلبية مروعة للإنقضاخ على وجودهم وتبديد طاقتهم وقدراتهم , وتورطهم بأمر إنقراضية إمحافية إنتحارية , ينجزونها بأنفسهم.

فمزلقة الطائفية ورطة عربية فنائية بلا منازع وقوة إجهاضية لجميع ما فيهم من إرادات وتطلعات وآمال وطموحات , ذلك أنهم متوطلون وغاطسون في آبار الغابرات ومدثرون بتراب الأحداث , ويتكلمون بلسان الأموات , فلا هم أحياء ولا أموات , وإنما يؤدون دور الدمى المحكومة المصير , والمسخرة لتأدية أدوارها التدميرية وهي تتراقص أمام الناظرين.

والعجب في العرب أنهم لا يتعظون من منزلقاتهم السابقة , وإنما يعتبرونها ثورات وإنتصارات وتسلفات وتحديات , وما أنجزوا إلى الخراب السامل الذي يشير إليه الواقع المائل , ويترجمه السلوك البائس الخامل.

ويذهب العجب عندما نعلم بأن المنزلات العربية تتواكب بسرعة وإنقضاخ غاشم لا يسمح بصحوة عقلية ورؤية واضحة , وإنما يتمزلق العرب وفقا لمشيشة صناع المنزلات , وتتاسبا مع وفرة النفط الذي يندهنون به فلا يعرفون الثبات في مكان , أو الإنطلاق إلى أمام , وإنما وقفتهم متأرجحة

الواقع العربي , ومنذ إكتشاف النفط في أرضه , يتميز بإنزلاقات متلاحقة ومتراكمة على سطوح مصقولة ومطلية بالنفط , وما نجت دولة عربية واحدة من مصير الإنزلاق

أحزاب العرب وخصوصا الدينية منزلقات دامية وجحيمات حامية.

أشع وأشرس المنزلات هما الطائفية والفئوية التي سقط فيهما العرب , وصاروا قوة سلبية مروعة للإنقضاخ على وجودهم وتبديد طاقتهم وقدراتهم

مزلقة الطائفية ورطة عربية فنائية بلا منازع وقوة إجهاضية لجميع ما فيهم من إرادات وتطلعات وآمال وطموحات

العجب في العرب أنهم لا يتعظون من منزلقاتهم السابقة , وإنما يعتبرونها ثورات وإنتصارات وتسلفات وتحديات

ومصيرهم مضطرب ومجهول , بفعل فقدان التوازن الذي توفره هذه المنزلاقات.

ومن أفدح المنزلاقات العربية ما يحصل في اليمن التي إنزلت فيها إيران والسعودية , ولا يُعرف نهاية لها ولا نتيجة إلا الخسران الكبير , ويبدو أن مسلسل المنزلاقات العربية سيتمدد إلى باقي الدول العربية , والمستهدف الأكبر بعد إنزلاق السعودية هو مصر التي يتم إعداد ما لا يحصى من المنزلاقات لها , عليها تنزلق بإحداها , وقد كادت أن تنزلق لولا يقظة وأهبة أبنائها , لكن مسلسل المنزلاقات في أعتى صورته ودوام تعجيله , ويُخشى أن تتورط في منزلق.

ولا ننسى منزلق سوريا الذي وقعت فيه عدد من الدول الإقليمية والعربية , وتورطت بمتواليات الصراع الدامي والتدمير الخلاق الجاري على قدم وساق.

تلك حكاية واقع عربي إقليمي مأزوم بالمنزلاقات ومحكوم بها , ولا يمكنه الخروج من مأزقه إلا برؤية جامعة تسعى لتأمين المصالح المشتركة , وتهدف للإتحاد والتعاون والتكامل على كافة الصعد والمستويات , وإن لم تستيقظ الدول العربية والإقليمية , فأنها ستهلك في المنزلاقات وستستنزف قدراتها , وتقع في شرك الصيادين وأحابيل المفترسين.

فهل سيتم معرفة المنزلاقات المدهونة بالنفط!!؟

ثالثاً: المنزلقة العربية الفادحة!!

الأنظمة العربية من أسهل أنظمة المجتمعات إنزلاقاً وإنداراً للقيعان , فلا حلم ولا روية ولا حكمة , ولا مشاوره وتقدير مواقف وحسابات نتائج وتطورات وما خفي في بطون المنزلاقات , وإنما سلوك مبني على منطوق "شيم العربي وخذ عباته!!"

فما أسهل التلاعب بعواطف الأنظمة ودحرجتها بالإتجاهات المطلوبة لتحقيق المصالح والمشاريع المرسومة , وجميعها وجدت نفسها في مواقف مصيرية يصح فيها القول دوماً "سبق السيف العذل!!"

فما حصل للعراق , وسوريا وليبيا وغيرها ينضوي تحت هذا السلوك الإندفاعي الإنفعالي , الذي يوهم العقل ويدفعه لتسويغ القفز إلى ميادين سقر!!

وما حصل للسعودية ينضوي تحت الإرادة الإنزلاقية المهلكة للأمم والشعوب , بعد أن تم التسويغ والتعريض والتمرير والخداع والتضليل , والعمل على التصديق بأن المصير على "كف عفريت" , إن لم يتحقق الإنزلاق الذي يتم تزويقه على أنه سيحسم الموقف ببضعة أيام , والخطة تقضي بدوامه لعدة أعوام.

وهذا يعني أن السعودية قد تورطت في حرب إستنزافية محسوبة لتجفيف قدراتها المالية وأخذ ما عندها من النفط والمال , فالمنزلق الذي هي فيه يكلفها ما يقرب من ربع مليار دولار يومياً , والكلفة ستزداد لإبتزاز شركات السلاح التي ستضاعف الأسعار , وتديم المنزلق حتى تتخلص من جميع اسلحتها المنتهية الصلاحية , والتي بدلا من إتلافها , تبيعها للمتورطين والمنزلقين بأتون النيران.

ومن المؤلم أن تجد الهمّ والقلق واضحا عند السعوديين عندما تلتقي بهم , فهم يدركون أن المنزلق خطير , وأنه أخذ يؤثر على واقعهم الحياتي وعلى مفردات أيامهم , كتقليل الرواتب , وربما السعي

يذهب العجب عندما نعلم بأن
المنزلاقات العربية تتواكب
بسرعة وإنقضاض غاشم لا يسمع
بصوت عقلية ورؤية واضحة

يتمزلق العرب وقتها لمشينة
صناع المنزلاقات , وتناسبها مع
وفرة النفط الذي يذهبون
به فلا يعرفون الثبات في
مكان , أو الإنطلاق إلى أمام

من أفدح المنزلاقات العربية
ما يحصل في اليمن التي
إنزلت فيها إيران
والسعودية , ولا يُعرفه نهاية
لها ولا نتيجة إلا الخسران
الكبير

تلك حكاية واقع عربي إقليمي
مأزوم بالمنزلاقات ومحكوم بها
, ولا يمكنه الخروج من مأزقه
إلا برؤية جامعة تسعى لتأمين
المصالح المشتركة , وتهدف
للإتحاد والتعاون والتكامل

الأنظمة العربية من أسهل
أنظمة المجتمعات إنزلاقاً
وإنداراً للقيعان , فلا حلم ولا
روية ولا حكمة , ولا مشاوره
وتقدير مواقف وحسابات نتائج
وتطورات وما خفي في بطون
المنزلاقات

لسياسة التموين والتكشف لسد نفقات الورطة الكبيرة.

بل أن البعض يرى أن السعودية ربما تسير في منحدر العراق وسوريا , وسيمتد إليها ما في اليمن , كما إمتد ما في سوريا إلى العراق , وفي هذا وعيد ومصير عربي أليم , قد يتطور ليذمر جوهر الوجود الإسلامي , الذي بدأت علائمه تلوح وتتحقق هنا وهناك!!

فهل كان سيحصل أسوأ مما حصل لو أن الأحوال في اليمن مضت وفقا لمشئنة اليمنيين الذين يعرفون أنفسهم ويتقاتلون فيما بينهم , ويقومون نظاما كما يرغبون , حرا أو تابعا!؟

إن النيران تأكل نفسها , ولو ترك اليمنيون بنيرانهم التي أوقدوها , لتأكلت نيرانهم وإنطفأت , لكن منزلق تسعيرها قد أسهم في تأجيجها وإطعامها بالوقود , ودفع الآخرين للسقوط في أحضان القوى الأخرى , إقليمية أو عالمية.

ويبدو أن من الحكمة أن يُترك اليمنيون يحلون مشكلتهم بأنفسهم , وعلى القوى المنزلة أن تتوقف قبل فوات الأوان , ووقوعها في أتون النيران , التي يُراد لها أن تحيلها إلى رماد ودخان.

فأهل اليمن أدرى بأمورهم , وأهل مكة أدرى بشعابها , ودع الذي يدري لما يدري , ولا تنوهم بأنه لا يدري!!

وختاماً , نبقى نتساءل لماذا لا يتعظ العرب من متواليات المنزلات الحاققة بهم , ولماذا لا يكون السلوك رشيدا , ومبنيا على المصالح العربية والتصورات المستقبلية الراجعة؟

إنها تساؤلات محيرة ومؤذية , فالعرب يأكلون جوهر قوتهم , ويبددون عنوان وجودهم , ويفتكون بمعاني رسالتهم الحضارية الكبرى!!

فهل ستنتهي مزلقنا يا عرب!؟!!

* هذه مقالات مكتوبة في حينها , ومع الأحداث التي تشير إليها.

إرتباط كامل النص:

<http://www.arabpsynet.com/Samarrai/DocSamarraiWaMaSawahaa215-291018.pdf>

*** **

مؤسسة العالم النفسي العربية

مجلة "بصائر نفسانية" (المستجدات العربية في علوم وطب النفس)

العدد 21-22 (صيف- خريف 2018)

"علم النفس الإيجابي و النشاط البدني التروبي"

- اشرفه على الملحن: أ.د. مرعي سلامة يونس (مصر)

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=25&controller=category&id_lang=3
www.facebook.com/BassaaerNafssania-Magazine-259758497705299/

السلسلة المكتبية "مقاربات" . (الرؤية ... من منظور مختلف)

العدد 5 (2018)

الخرقة - أ.د. وليد سرحان

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=45&controller=category&id_lang=3
<https://www.facebook.com/%D9%85%D9%82%D8%A7%D8%B1%D8%A8%D8%A7%D8%AA-Muqarabat-1037164736374422/>

ما أسهل التلاعب بعواطفه
الأنظمة وخرجتها بالإتجاهات
المطلوبة لتحقيق المصالح
والمشاريع المرسومة

أن السعودية قد تورطت في
حرب إستنزافية محسوبة
لتجفيف قدراتها المالية وأخذ
ما عندها من النفط والمال ,
فالمنزلق الذي هي فيه يكلفها
ما يقرب من ربع مليار دولار
يومياً

أن من الحكمة أن يُترك
اليمنيين يحلون مشكلتهم
بأنفسهم , وعلى القوى
المنزلة أن تتوقف قبل فوات
الأوان